

«الموروث الثقافي والسياحي "حضرة رجال لملاح" "أما مليحة" ودوره

في التنمية المحلية لمنطقة وادي ريغ»

«Cultural and tourist heritage, Hadrat Rijal Lamlah ``Ouma Mleiha'', and its role in the local development of the Wad Righ region»

أ.د. بلحاج طرشاوي¹، د. فاطمة بوعشة²

¹ جامعة أبي بكر بلقايد- تلمسان (الجزائر)، إيميل: hadjar@yahoo.fr

² جامعة أبي بكر بلقايد- تلمسان (الجزائر)، إيميل: hafidafatma33@gmail.com

المملخص: (لا يتجاوز 10 اسطر)	معلومات المقال
تهدف الدراسة إلى التعريف بموروث ثقافي لا مادي كانت تُعرف به منطقة وادي ريغ وهو "حضرة الرجال لملاح"، أما "مليحة" والذي كان يعكس أصالة وتاريخ المنطقة ويُعرف أيضا بـ "حضرة رجال الحشان" وهو احتفالية تُقام كل سنة بعد جني التمور ويُعبّر هذا الموروث عن عودة التقاليد والتمسك بأصالة المنطقة. وكان يهدف أيضا إلى جمع شمل ما فرقته السنين كان في الماضي له دور ديني واجتماعي وأيضا ثقافي، حيث كان يغلب على هذا الموروث أو مجلس رجال الحشان الطابع الديني والاجتماعي والترابي لما كان يُقدمه من خدمات تمثلت في إصلاح ذات البين ومساعدة المحتاجين والفقراء وعقد مجالس القرآن والذكر، إلا أن هذا الدور تقلص تقريبا وأصبح يأخذ طابعا آخر تمثل في الجانب الاقتصادي والترفيهي والسياحي وفرصة للتجار لعرض منتجاتهم وتسويقها والمشاركة في تنمية اقتصاد المنطقة وتبادل السلع والمنتجات وإنشاء الجمعيات للتعريف بهذا الموروث الثقافي والسياحي، فمنهم رجال لملاح أو رجال الحشان وكيف ساهم هذا الموروث الثقافي والسياحي في التعريف بالمنطقة وبعاداتها وتقاليدها وما قدمه من خدمات ساهمت أيضا في التنمية المستدامة للمنطقة؟ الكلمات المفتاحية: وادي ريغ؛ حضرة رجال الحشان؛ أما مليحة؛ الموروث الثقافي والسياحي؛ التنمية المحلية.	تاريخ الارسال: 2020/12/01 تاريخ القبول: 2020/03/05 الكلمات المفتاحية: ✓ وادي ريغ؛ ✓ حضرة رجال الحشان؛ ✓ أما مليحة؛ ✓ الموروث الثقافي والسياحي؛ ✓ التنمية المحلية.
Abstract : (not more than 10 Lines)	Article info
This study to define one important aspect in the cultural heritage of the Wadi Reigh region, which is "Men of Al-Hashan Concil", reflecting the originality and deep history of the region. It is a celebration held every year after the harvest of dates, this heritage reflects the return of tradition, adherence to the originality of the region and the reunification of the society that has been divided for years. In the past, the "Men of Al-Hashan Concil" was dominated by religious, social and educational character. This is particularly evident in the quality of its services, which	Received Accepted Keywords: ✓ Wadi Reigh ; ✓ Hadrat Rijal Al-Hashan Concil;

included reforming the relationship, helping the needy and the poor, and holding the sessions of reciting Qur'an and performing prayers. However, this has been reduced to become more economic, entertainment and touristic, and an opportunity for traders to display and market their products participating in the development of the region economy, exchanging of goods and products, and the establishment of associations to introduce this heritage. So who are the men of Al-Hashan? How did this cultural heritage and tourism contribute to the definition of the region, its traditions? What services have contributed to the sustainable development of the region?

- ✓ Ouma Mleiha;
- ✓ Cultural heritage and tourism ;
- ✓ Sustainable development of the region.

المؤلف المرسل: د. فاطمة بوعشة

1- لمحة عن تاريخ المنطقة:

سكن إقليم وادي ريغ قديما قبائل وأجناس مختلفة وتعاقبت عليه أفواج بشرية، تركت بصماتها فيه وتداخلت فيه الأنساب والأصول وجمعت بين المقيمين ظروف الحياة ووحدتها مميزات وتقاليد اجتماعية واحدة وبهذا التمازج والاختلاط. يصعب التمييز بين الأصول والأنساب، كما أنّ الزائر لوادي ريغ يلاحظ أنّها تضم خليطا متجانسا من القبائل تجمعها اللهجة المستمدة من اللغة العربية وبعض التأثيرات الأمازيغية ويجمعها كذلك الدين الإسلامي والتاريخ المشترك، هذه العروش تنقسم بدورها إلى أصلية ودخيلة.

أيضا يزخر الإقليم بمجموعة من المقدسات منتشرة في كامل الإقليم والتي تعتبر عناصر ثابتة للهوية. خصّص لها المستعمر الفرنسي بعثات استكشافية وحملات متخصصة. هذه المقدسات كانت بمثابة نقطة ضعف عند الأهالي والتي استغلها المستعمر، من خلال نشر الجهل والبدع والخرافات في المجتمع الريغي.

2- التعريف بإقليم وادي ريغ:

يمتد وادي ريغ ما بين سفح جبال الأوراس إلى الطاسيلي ومن العرق الغربي للحدود الليبية وتقدر مساحته الإجمالية ب 7200 كلم²، والشريط الحزامي الأخضر لوادي ريغ. يتكون من 35 بلدة وواحة وطوله يبلغ حوالي 120 كلم²، في بعض الأماكن أشهر المدن و القرى المتواجدة في حزام وادي ريغ أم الطيور، المغير، سيدي خليل، تيندلة، أغفيان، مازر، المرارة، وغلانة، جامعة، تيقديدين، تمرنة، سيدي عمران، سيدي راشد، سيدي سليمان، مقر، لهريرة، لقصور، غمرة، المقارين، تفرت، النزلة، سيدي ماضي، تبسبست، الزاوية العابدية، تماسين، تملاحت، بلدة عمر، قوف.

3- الإطار الاقتصادي للمنطقة:

أ- الزراعة:

إن الأجناس التي سكنت هذه المنطقة واختارت الإقامة بها اعتمدت في معيشتها منذ القدم على الزراعة وتربية المواشي وكانت الزراعة هي المورد الاقتصادي لدى أغلبية السكان وقد ساهمت الحياة الزراعية في الاستقرار ونشر بعض الحرف البدوية كالحداثة وصناعة السلال والحبال (أبو العباس الدرجيني، د.ت، صفحة 344) وعلى الرغم من صعوبة الطبيعة الصحراوية لكن توفرها على قدر كاف من المياه بفضل الأودية الموجودة بها كوادي جدي، وادي ريغ، الخ، ساعد على استقرار البشر بهذه المنطقة الصحراوية. (أبو العباس الدرجيني، د.ت، صفحة 207، 208) وبالرغم من المناخ القاسي الذي تتعرض له المنطقة إلا أن هذا لم يمنع السكان من مزاوله النشاط الزراعي و إنتاج بعض المزروعات تحديا لقسوة المناخ و من هذه المزروعات نذكر:

- **زراعة النخيل:** يطغى على المناطق الجنوبية محصول التمور لأن هذا النوع من الأشجار يحتمل المناخ القاسي للصحراء وينتج عدة أنواع منها: دقلة نور، غرس، دقلة بيضاء، دقلة تنيسين، طنطبوش، اليتيمة، بوعروس، العماري... الخ.

بالإضافة إلى الاستفادة من النخيل في إنتاج التمور فإن أهالي وادي ريغ يستخدمون منه عصير (شراب) حلو سبي "اللاقيمي" يستخرج من قلب النخلة بعد قطعها والضغط عليها وهو يستخرج من النخيل الذي كبر سنه ولم يعد يستفاد منه كثيرا في إنتاج التمور دون النخيل الصغير، لأن النخيل بعد قطعه واستخراج اللاقيمي منه يموت، ويتميز اللاقيمي بشدة حلاوته و مذاقه (هناك اعتقاد كان سائدا لدى الفلاحين أصحاب النخيل قديما، فإذا ما تأخرت شجرة النخيل عن الإثمار و تمدت في إفساد ثمرها أتاها صاحبها بفأسه مهددا إياها بالضرب و تارة يهددها بتجميدها قتلها و تحويلها إلى شجرة يؤخذ منها مشروب حلو يسمى لاقيمي). (بوغرة، 2015، صفحة 3؛ الساسي العوامر، 2007، صفحة 75)

- **الخضر والفواكه:** بالإضافة إلى زراعة النخيل عرفت المنطقة أيضا زراعة الفواكه ولكن بدرجة أقل حيث تتوفر الماء والتربة الخصبة الملائمة للزراعة، و كان الإنتاج يوجه للاستهلاك المحلي عموما، ومن المنتجات التي جادت بها المنطقة نذكر: البطاطا، البصل، السلق، القرع، العنب، الرمان، المشمش، التين.... الخ.

القمح والشعير: بسبب غياب الظروف الطبيعية الملائمة للزراعة نجد المحصول في المنطقة ضعيف وذا نوعية رديئة، ولأن منطقة وادي ريغ تتميز بسهولة المعالجة إذا وجد الماء فهذا لم يمنع من تنوع محصولاتها الزراعية الموسمية الفصلية والسبوية كالقمح، الشعير، الذرة الصفراء، الحبوب... الخ. (رمضان، 2012، صفحة 198)

- **التوابل:** و قد زرع فلاحو المنطقة التوابل رغم صعوبة زراعتها والاعتناء بها وقد كانت قليلة إن لم نقل نادرة وكانت توجه بالدرجة الأولى للاستهلاك المحلي ونذكر منها: الكزبرة، حبة حلاوة، البسباس، الكروية، الحلبة... الخ. (سعيدوني، د.ت، صفحة 542)

- **تربية المواشي:** كان سكان وادي ريغ يربون الماعز والإبل والبقر، وقد كانوا يستفيدون من لحومها وصوفها وحليبها، وقد مثلت ثروة حقيقية لسكان المنطقة، ولم يقتصر اعتمادهم عليها بهذا الشكل بل تعداه إلى استعمالها في التنقل وتدوير الطواحين لاستخراج المياه من الآبار. (رمضان، 2012، صفحة 198)

ب- الصناعة:

كانت الصناعة في أغلبها تقليدية بسيطة تقوم على اليد العاملة التقليدية و المواد الأولية المتوفرة في المنطقة، أما المواد المنتجة فكانت تتمثل في مستلزمات السكان، وكانت موجهة وبشكل خاص نحو الاستهلاك المحلي، أما ما يفيض عن حاجيات السكان فإنه يوجه للتصدير نحو الخارج ومن أهم المنتجات نذكر:

- **الغزل والنسيج:** مارس أهل المنطقة صناعة الأنسجة الصوفية كالفندورة والبرنوس والقشايية والبخنوف والأفرشة والأغطية، كانت هذه الحرفة من قبل النساء في البيوت خلافا لبعض المناطق الأخرى حيث يشتغل بالنسيج الرجال والنساء على السواء وأنسب وقت تعمل فيه النساء هو فصل الصيف، وقد اشتهرت المنطقة بصناعة الحنبل أو الحولي الذي هو الفراش والغطاء الدافئ، ولأهميته فهو يدخل في صداق المرأة والبرنس الذي يرمز إلى الرجولة و الهمة والقشابة والفندورة والبخنوف، وكل هذه الأنواع تنتج على قدر الاكتفاء الذاتي وربما يصدر منها البعض. (قادري، 2010، صفحة 160)

وعند إتمام نسج الصوف يطرز من طرف محترفين نساء من ملابس وأفرشة وستائر، تظهر رموز تعكس الهوية الثقافية للمنطقة من أشكالها وألوانها وطريقة تطريزها و بقيت هذه المهنة للوقت الحاضر نظرا لكثرة الاهتمام. (برقية، د.ت، صفحة 76)

ولأن منطقة وادي ريغ تنتج التمور بكثرة بالإضافة إلى صناعة الأقمشة الصوفية، فإن التجار يصدرون بعضا من هذه المنتجات والمصنوعات ويشترّون ما يحتاجه السكان كالأقمشة القطنية والعطريات والزيوت وأنواع البخور واللبن وغيرها من السلع. كما أن سكان وادي ريغ لم يمارسوا التجارة كحرفة أساسية و لم يعرفوا النشاط التجاري كما عرفه جيرانهم، وإنما عرفوا بتجارة استهلاك السلع (المواد الغذائية) المستوردة والسلع التي تأتي إلى أسواقهم العامرة بالتجار والتجار القادمين من كل فج. ولعل من أهم الصناعات السائدة في العهد العثماني هي ما يسمى اليوم بالصناعات التقليدية التي تعتمد على المواد الأولية المتوفرة في المنطقة أو المجلوبة من غيرها كالطين ومشتقات النخيل والصوف والوبر والجلود وبالتالي فهي تشمل صناعة الملابس والأغطية ومشتقات النخلة كالسدة والمظلة والقفة والسلال، ويلخصها إبراهيم قادري في صناعة الغزل والنسيج وأهمها الحبل والبرنوس والقشايبة والثندورة والحدادة وتختص أيضا في صناعة السكاكين والفؤوس والمناجل والكوانين، بالإضافة إلى صناعة الفخار كأدوات وأواني الطبخ والزينة ومنها القلال والكسكاس والأباريق وغيرها، فضلا عن صناعة الجلود والمتمثلة في النعال والقرص والأثاث والمتاع وغيرها من المصنوعات الجلدية كالأحذية ناهيك عن تصنيع مواد النخيل الأولية وتحويلها إلى أقفاص ومظلات وسجاجيد وحصائر ومراوح وزنايل وما إلى ذلك كالأبواب والجوابي. وأضافت بعض المراجع صناعة بعض المواد الأولية المتوفرة كملح البارود، كما تصنع ثغرت الأسلحة التقليدية كالسيوف وكذلك صناعة الأواني النحاسية والسروج والألجمة.

4- المساجد والأضرحة بوادي ريغ:

إن الشيء الذي جلب انتباهي في منطقة وادي ريغ كثرة القباب لأولياء صالحين فترى في كل بلدة قبة فيها رجل صالح دفين تنسب إليه القرية كسيدي خليل (نواحي المغير) وسيدي يحيى (نواحي جامعة)، سيدي عمران (نواحي جامعة) والمشاهير الذين عليهم العمارة هم: سيدي محمد بن يحيى (قربا من وسط مدينة ثغرت) وسيدي محمد بن أحمد الميكالي بوعمرية، المسمى بالسايح (جنوب ثغرت قرب بلدة عمر)، وسيدي بوحنية (جنوب ثغرت وبقرية فوڤ) وسيدي الحاج علي التماسين (جنوب ثغرت وبتماسين)، ويلحقهم في الشهرة سيدي مبارك الصائم (بمدينة المغير) وسيدي علي بن كانون (بمدينة المغير) وسيدي بوجنان (النزلة جنوب ثغرت) وسيدي بن هارون (بالنزلة) وسيدي بودرهم (تماسين) وأما سيدي محمد بن يحيى إستوفد أهل الحل في الواحة في أواخر القرن 9 الهجري فكان سلطانا روحيا وسياسيا معا وقضى على النزاعات المعارضة في أوائل القرن العاشر هجري ولذلك يطلق عليه سلطان وادي ريغ وأصله من ريغة قرب سطيف.

«كانت زيارة أضرحة الأولياء الذين يعتقد فيهم الولاية والصلاح والتقي ظاهرة من الظواهر الاجتماعية الشائعة في الإقليم، فقد اشتهرت منطقة وادي ريغ بكثرة الأضرحة والمزارات، فلا تكاد تخلو منطقة من ذلك، وخلال النصف الأول من القرن العشرين وصل عدد الأضرحة والمزارات بالمنطقة إلى 126 مزارا منها 45 في منطقة ثغرت بما فيها النزلة وتبسست والزواية العابدية وغيرهم، أما تماسين وبلدة عمر فيضمّان 23 مزارا و تحتوي لمقارن، بما فيها مقر وسيدي سليمان والقصور على 30 مزارا كما تضم جامعها 15 مزارا و تضم المغير 13 مزارا، ولعرش أولاد السايح مزارا واحدة، نفس الشي بالنسبة لعرش الفتايت والعباضية وعرش سعيد أولاد عمر، أما عرش لغراية رحمان و سلمية فله مزارتان. (عمراني، د.ت، صفحة 140، 141)

وقد تعلق الناس تعلقا كبيرا في منطقة وادي ريغ بالأولياء و الرجال الصالحين، فالكثير من القرى و المداشر في الإقليم تحمل اسم ولي أو مرابط، ففي مطلع القرن 20 كانت هذه القرى و المداشر تتوسط واحات النخيل بين أحضان ولي من الأولياء يعرف بصاحب البلاد أو "مولى البلاد" يعتقدون في بركته اعتقادا مطلقا فلا يتزوج متزوج إلا بعد زيارته وطلب رضاه، ولا يخلق شعر صبي لأول مرة إلا داخل ضريحه، ولا يختن إلا بعد التبرك به و طلب الحفظ من الله عنده، و لا يمرض مريض إلا و يرجو الشفاء عنده بدعوته الكامنة. (عمراني، د.ت، صفحة 141)

بيّنت أقوال المؤرخين والجغرافيين القدامى أنّ لهذه المنطقة تاريخاً عريقاً حيث تعاقبت عليه أهم... عديدة منذ العصور الحجرية وحتى القدح الإسلامي لأنّ التجمّع السكاني الأوّل كان متكوّناً من قبائل إثنية ذات أصول زنجية وإثيوبية عاشوا على الحدود الجنوبية لليبيا وهم من مهاجري زنوج العصر الحجري المتوافدين من نواحي مصر كانوا يمارسون حرفة الريّ، حيث تعدّ هذه الفئة السكانية، الليبيون والإثيوبيون من جهة والجيتوليون من جهة أخرى، أوّل من ساهم في التكوين والتحوّل المناخي لمنطقة الصحراء بصفة عامة بفضل مجهوداتهم التي بذلوها متحدّين الطبيعة وقساوتها. من خلال الدراسة، وقد دلّت الحفريات والدراسات على أنّ الزنوج عثروا الصحراء الجزائرية ما يقرب أربعين ألف سنة، إذ عثر علماء الآثار على نماذج من الصناعات الحجرية الرائعة لمدينة تماسين تعود إلى العصر الحجري الحديث. (قادري ع، 2014، صفحة 30)

يقول الأستاذ "أبو بكر محمد السعيد": «في جلساتي مع المشايخ من أهل الإقليم في اللقاءات الاجتماعية أجبرهم دوماً للخوض في موضوع تاريخ وادي ريغ وفي واحدة من اللقاءات وجدت من أشار إلى قضية أوّل اتصال بين الفاتحين وسكان الإقليم». ويقول الراوي ناقلاً عن القدامى: إنّ سكان وادي ريغ حين سمعوا بجيش سيدنا عقبة في موقع تهودة وهو موقع قريب من مدينة سيدي عقبة حالياً، جمعوا بعض رجالهم عبر قصور الإقليم بداية من سيدي بوحنية في أقصى جنوب الوادي قرية قوف حالياً وهم يضربون الدف وعزموا الذهاب للقاء سيدنا عقبة في تهودة، وهكذا كلّما مروا على قصر انضم إليهم جمعاً جديداً وكان غرضهم نصرته والانضمام إليه، حاملين علم النصر وحين وصلوا إلى المغيّر حالياً قال لهم سكان المغيّر: «أنتم ذاهبون لسيدنا عقبة تناصرونه وهو في معركة فإن انهمر ماذا ستفعلون وأنتم لا تعرفونه فمن الأحسن أن تحملوا معكم سرا رايتين، راية ترفعونها إن وجدتموه منتصراً وأخرى إن وجدتموه منهزماً حتى لا ينقلب عليكم أعداؤه وبهذا غيّرنا نيتهم ولهذا سميت المغيّر بالمغيّر».

وحين وصلوا لسيدنا عقبة التقى الوفد وعلم بنية خروجهم وكيف غيروها حين وصلوا للمغيّر.

فقال لهم: أي دعا عليهم بالدعاء التالي: «اللّٰه يغيّر نفيكم ويجعل عدوكم أكثر من صديقكم، خشبة وعمود وشوف يلقو الماء ولا ما يلقوه»، حيث كان السقي في السابق بالماء وهو يجري على وجه الأرض، فكان هذا الدعاء سبباً في جفاف الواد وأصبح الحصول عليه يتطلب حفر، هذه الرحلة ما تزال نفسها لليوم تُعرف بحضرة "الرجال لملاح".

منذ زمن اقترن شهر أكتوبر ببداية جنيّ التمور وانطلاق قوافل الحجيج من بلاد المغرب الأقصى والأوسط وبلاد الجديد، كما كان موعد للقاء العائدين من البقاع المقدّسة والذين كانوا أمضوا سنة في طريق عودتهم وكان الأهالي وقبل أن يتولّى أمرهم الوليّ الصالح سيدي محمد بن يحيى يستقبلون جحافل الحجّ بالقبول: "حضر ركبنا رجال لملاح". وكان اسم رجال لملاح يُطلق على الحجّاج اعتباراً لقدسية من يتحمّل عناء الحج ومخاطره وزاد ملاحه بغسل الذنوب.... وكان الأهالي يُقيمون احتفالات أحدهما بقدم هؤلاء سالمين غانمين فتضرب الدفوف وسميت هذه "حضرة" نسبةً لحضورهم واحتفالاً آخر بما جلبه هؤلاء وعرضه على الأهالي بيعاً وشراءً ومقايضة، وسميت "لمة المليحة" وتزايد هذه اللّمة التي حوّر اسمها مع الزمن إلى "أما مليحة" مع بداية الجنيّ... ومع قدم مركب سيدي محمد بن يحيى واستقراره بالمنطقة اتخذت الحضرة شكلاً آخر أكثر نفعاً وتنظيماً بحيث أصبحت تظاهرة ذات أبعاد متعدّدة اجتماعية واقتصادية ودينية وفصل أيضاً في مدلول كلماتها: حضرة هي الطبل الذي يضرب للسكان أو كلّ ذي شأن في المراسيم وخلال جولاته، الركبان، أطلقت على الوفود القادمة إلى المدينة والتي كانت تستضاف من قبل الأهالي أكلاً ومبيتاً، أما رجال لملاح فقد كانت تطلق على الأولياء الصالحين. (احتفالية اللّمة المليحة)

- الرجال لملاح:

تسمى بلغة البربر "أريازان ذو أصبح" وظهرت التسمية ابتداءً من القرن الثامن الهجري، حيث كان فيما قبل سكان الواحة يغدون في كل عام لزيارة الولي الصالح سيدي بوحنية، على ما يعتقدون وجوده في أقصى الشمال إلى أقصى الجنوب، في فصل الخريف ويجعلون يوماً للفرح والمرح يضربون الدفوف ويرقصون، وهناك أناس مفكرين صالحين فاستخدموا ذلك اليوم في الصالح العام، انتخبوا في كل بلدة صالحها من أهل الزوايا أو المتطهرين للقرآن الكريم. (الحاكم بن عون، 2010-2011، صفحة 79)

هي ملتقى القضاة والتجار والحرفيين والأحباب، كانت تُقام هذه الحضرة أو منتدى الصلح بين العشائر في يوم معلوم من كل سنة وهو أوائل فصل الخريف، كانت تقام بأماكن تركز الأهالي وذلك حسب كثافتهم العددية... وتعدّ حضرة رجال لملاح أو لالة مليحة من أكبر الحضرات على مستوى وادي ريغ، إذ تستغرق مدتها 33 يوماً. (ابن براهيم، د.ت، صفحة 77)

ويطلق عليها أيضاً "حضرة رجال الحشان" (رجال الحشان كلمة تُطلق على كبار الفلاحين، والحشان هو الفسيل من النخل وأطلق هذا الاسم عليهم لجليهم الفسيل بين الزاب من عهد بعيد، واسمها بالبربرية (أريازان نيزاديت)، أي رجال النخلة، لأنهم يعتقدون أنّ النخلة لها تأثير في الوجود).... وهو الاسم الذي يطلق على السكان الأصليين حالياً، وحسب الروايات المحلية وبعض المخطوطات أنّ المرأة لالة مليحة هي ولية من الأولياء الصالحين اشتهرت بالورع والتقوى ولما توفيت دفنت وجعلوا لها مزاراً يذهبون إليه في مختلف مناسبات الأفراح كالخطوبة والزواج والختان ثم ارتبط مزارها بعادة اقتصادية واجتماعية عُرفت بـ "حضرة الرجال الحشان" تكون في موسم جنيّ التمر في الخريف، وهي عادة اجتماعية تعود إلى قرن الحادي عشر ميلادي (4هـ - 10م) وتنسب للأولياء الصالحين الأوائل اعترافاً بالعمل الجبار الذي قاموا به لتعمير المنطقة، ويتبع هذه الحضرة مدائح دينية مع ضرب الدف، ورقص بعض الحاضرين على تلك الأنغام.

وينطلق موسم حضرة رجال الحشان حسب ما رواه لنا المشرفون عليها، يوم السبت في تبسبت وبالتحديد بساحة سيدي عمر بن تاتي وفي المساء إلى ساحة رجال لملاح ويوم الأحد صباحاً بحي بن يسود وفي المساء بحي سيدي بوعزيز، وفي صبيحة اليوم الموالي بالنزلة حيث ضريح سلطان وادي ريغ (سيدي محمد بن يحيى) ثم إلى سيدي منصور وسيدي فتية، وكلّ هذا لمدة ثلاثة أيام وبعدها إلى ثغرت الخميس سيدي حاج سعيد والجمعة لسيدي عبد السلام والسبت أيضاً في ثغرت بكلّ من حي بوعلوس وحي العرقوب الجديد ويوم الأحد والاثنين نحو الزاوية العابدية ثم تواصل المسيرة لهذا الجمع نحو المقارين، ووقوفاً ببعض الأماكن لتتجه إلى رأس الوادي بالمغيز وهذه الرحلة تستغرق خمسة عشر يوماً، وتهدف هذه الطريقة الصوفية إلى الصلح بين أفراد المجتمع والسعي إلى الأعمال الخيرية والدعوة إلى المشاريع ذات المنفعة العامة والمصلحة المشتركة، وإنّ الاستقراء التاريخي لهذه الظاهرة يسمح لنا بالقول بأنّ ما يسمى بالحضرة هي طريقة صوفية إذ احتضنها المتصوّفون وصّبوا فيها كلّ تصوراتهم وأحاسيسهم وتحليلاتهم وأفكارهم عن الكون والحياة والموت، إلّا أنّه ممّا تجدر الإشارة إليه هو أنّ هذه الحضرة قد احتواها الاستعمار الفرنسي في النصف الأول من القرن 20 ونفخ فيه من روحه لئيفسد من خلالها عقيدة المجتمع المحلي، فشجع رجالها وقلوبهم على رجال الإصلاح، فانخرقت عن طبيعتها ومقصدها الروحي فصارت ملجأ للمشعوذين والفسّاق.

ومّا يؤكّد هذه الرواية الرحالة الليبي محمد عبد الجليل الفزاني من خلال مخطوطة "ريّ الغليل في أخبار بن عبد الجليل"، خاصّة لما زار منطقة وادي ريغ في الخمسينيات من القرن التاسع عشر قائلاً: «... ومن تبسبت يقابلك قبتين، يقال لهم رجال المليحة وهي كانت امرأة مدفونة فيهم يقال لها "لالة مليحة"، فهم يأتون أوّل الخريف، الأركاب، من جميع بلدان وادي ريغ ويزوروا لالة مليحة، ويجعلوا فيها غُرس، ولا يقعد في وادي ريغ أحد إلّا يزور رجال المليحة، ويمشي سلطان ثغرت ويجعلون فيها طعام وحضرة، ولا يقعد في ثغرت لا رجل ولا امرأة، إلّا مشّت وزارت رجال المليحة وبعد رجال المليحة يمشوا جميع الناس والأركاب ويتوجهوا من بلاد إلى بلاد ويزورون المرابطين والزوي في جميع بلدان وادي ريغ حتى يوصلو

إلى الوريير وهو آخر بلاد من بلدان وادي ريغ ويجعلوا فيه حضرة ويشطحو فيها، ويقال أنّ جميع الأحناش واللفاع والعقارب تخرج في تلك الحضرة وتشطح على دف البندير، فمشينا معهم حتى وصلنا إلى الوريير، فلا رأينا شيئاً من ذلك الأمر الذي يقولون عنه فما هو إلا كذب ومُجتان، ورجعنا إلى الوريير بعد ثلاثة أيام وروّحنا إلى المبعث». (تقديم الأستاذ رضوان شافو)

وازدهرت حضرة رجال الحشان إبان حكم بني جلاب بتقרת ووادي ريغ وخاصة في معركة مئة محمد ومحمد حيث كانت حضرة رجال الحشان تنشط في الأعياد والأفراح والمناسبات الخاصة وللفرقة نظام خاص متميز عن أنظمة الفرق الفلكلورية الأخرى كما يتميز وزن وريتم أغانيها الخفيفة والرشيقة بطابع خاص يُميّزه السامع عن بقية المجموعات الأخرى الموجودة بتقרת ووادي ريغ وكلّ أغانيها عبارة عن مدائح عن أولياء الله الصالحين ورجال الحشان وهي خفيفة ومشوّقة وريتمها سريع زاد من إعجاب المتفرجين تشويقاً، وتتكون الفرقة من:

- المقدّم وهو رئيس الفرقة؛
 - المقدّم الثاني؛
 - وأعضاء الفرقة؛ منهم الضاربين على الدفوف والمغنين والراقصين.
- وللفرقة لباس خاص أثناء ممارسة نشاطها، فالرئيس أو المقدّم يلبس فندورة خضراء ويضع منديل أحمر على رقبته، المقدّم الثاني يلبس فندورة خضراء ويضع منديل أخضر على رقبته، وكلّ راقص أثناء رقصته يلبس فندورة بيضاء ويضع إزار ذو لونين أخضر وأحمر أو أصفر وأخضر ويضع منديل أخضر أو أحمر على رقبته ويرقص حتى يتجول. (ابن براهيم، د.ت، صفحة 78)





تقول نادية (نادية كاتبة هاوية من تفرت) حضرة ما مليحة تأتي كل عام في الخريف تزامناً مع "التخريف" على حدّ قولها لكي يعرضوا منتوجاتهم وتُقام فيها عروض فلكلورية لحدّ الآن وهي عبارة عن وعدة وطقوس غريبة، ويجتمع النساء في بيوتهنّ ويطهون الكسكسي لكي يأكل الزائرين وجماعة الحضرة (حضرة سيدي عمار)، وتُعرض منتوجات تقليدية، يجب أن تأخذ مكانها بيوم الأحد مساءً ثم ينتقلون إلى مكان يقال له جالي ثم لبني أسود.

والفرقة فيها رجال ونساء وشيوخ ولما يأتون يجب عليهم أن يؤثروا في الأطفال الصغار لكي "يتحملو" أو "يُجذبو".

للفرقة مكان تجتمع فيه صباحاً ويضربون الطبل حتى المساء ثم يذهبوا إلى البيوت لطلب الصدقة ويوجد عائلات تستضيفهم للعشاء والمبيت والدراهم التي يجمعونها من الطبل تُوضع في البندير. أما فرقة سيدي عمار فهي تنتمي إلى عرشنا.

تنشط الفرقة العمارية في المناسبات سواءً كانت حفلات زفاف، أعياد وطنية، مهرجانات، أسابيع ثقافية أو مناسبات خاصة مثل لالة مليحة، حضرة رجال لملاح... وحسب ما قيل عن أصل الطريقة العمارية هو منبثق من الطريقة القادرية لأنّه كانت هناك علاقة كبيرة بين مؤسسي الطريقتين، فالطريقة القادرية منسوبة إلى الشيخ عبد القادر الجيلاني، أما الطريقة العمارية فمنسوبة إلى الشيخ عمار بوسنة. (بن براهيم، د.ت، صفحة 73، 74)

تقول نادية أيضاً تظاهرة لالة مليحة أو رجال لملاح تساهم في إبراز المنتوجات المحلية التي تخص المنطقة، والآن أصبحت تجلب السوّاح من داخل وخارج الوطن يشترون الأشياء المحلية ويتمتعون بالفلكلور مع فرق الخيالة من كلّ دشرة وكلّ فرقة تقدم عروضها وهي تظاهرة جميلة جداً، تأتي حتى الصحافة لأنها تُقام غُرضة للوالي وعدّة مسؤولين.



وصنّفت من موروثات المنطقة وأصبحوا يهيئون لها من قبل وينظمون لها وأصبحت تظهر حتى على شبكات التواصل الاجتماعي، وكان الأهالي يدّخرون الدراهم لهذه المناسبة لكي يشترون الأشياء المعروضة لأنّه حتى التجار لهم نصيب في هذه التظاهرة لبيع منتوجاتهم.



في عهد الأسلاف القدماء، كانت حضرة رجال لملاح تلعب دوراً هاماً وفعالاً في جميع النواحي، الاجتماعية والتجارية، الثقافية والحرفية وترتكز على حل كل النزاعات التي تطرح على مجلس رجال لملاح والصلح بين الأهالي، وبعد الفصل في النزاعات وحل كل القضايا وتختتم الجلسة بقراءة القرآن والدعاء وذلك بالمسجد العتيق الكائن بالجهة أو في ساحة خاصة لذلك الغرض، ثم يتوجه أعضاء المجلس رفقة كبار الجهة والأعيان إلى ساحة الحضرة للقيام بزيارة المشاركين والعارضين من تجار وحرفيين وفرق فلكلور. (ابن براهيم، د.ت، صفحة 77)

يقول الأستاذ أبو بكر محمد السعيد أنّ حضرة لالة مليحة أنها مناسبة سياحية يمكن أن تستغل في تقديم العديد من الخدمات ومناسبة ثقافية يمكن بقوة تاريخها أن نجعلها موعداً للثقافات وطنية، تاريخية وفي علم الاجتماع والاقتصاد السياحي ولدراسات النفس الاجتماعية، وملتقيات دينية وفرصة للإصلاح في الجانب العقائدي، يمكن أن يستغلها الأئمة في تصويب جوانب الخطأ في الظاهرة وتنبه الناس للجوانب الشريكة فيها، فإن توجيه الناس والإصلاح فقط من المسجد ليس كافياً، بل علينا أن نخرج مساجدنا للمجتمع في المناسبات.

يقول أيضاً أنّ الأصل فيها أنها اجتماع لأعيان وادي ريغ في بداية نضج تمر التينيسين في بداية موسم جني الثمر وبهذا يبيعون الفال ليمكّنوا من شراء ما يمكنهم من إكرام ضيوفهم أو شراء هدايا للتظاهرة. وقد كانت الساحة الخاصة بقبر لالة مليحة وبنيتها مكان المبيت للغالبية الذين يأتون لتبسيست على أن يزوروا كل القصور كل المشاكل بين السكان خاصة مشكل مياه السقي، وتبدأ هذه الزيارة من قصر تبسيست من لالة مليحة من عائلة رجال لملاح يقصد بها الناس الحزين، وقد كانت موسماً اجتماعياً، تتبادل فيه أغلب العائلات في وادي ريغ شمالاً وجنوباً كما كان موسماً ثقافياً بالتقاء الفرق التقليدية التي تنشط الأفراح في الوادي مثل سيدي عمار والحضرة وغيطة ولاد نايل والغيطة المحلية وكما كانت موسم اقتصادي تعقد فيها الأسواق خاصة الصناعات التقليدية.

وهذا التقليد نفسه نجده في أغلب مناطق الوطن فقط بمسميات مختلفة منها، موسم الزيارة في منطقة توات الذي يبدأ من يوم أول ماي من كل سنة، ومنها زيارة سيدي كدا في منطقة الشاوية وفي الغرب الجزائري، وفي كل هذه الزيارات يحظى السكان بطبق الكسكس ويقدمونه للسكان والزوّار في شكل ولائم مفتوحة. (مقابلة مع أبو بكر محمد السعيد)

ورجال الحشان هم أهل النخيل، فهم يتعهدون النزلة بالغراسة والعناية التامة لذلك أقاموا للنخلة العديد من المناسبات التي ارتبطت بهذه الشجرة المباركة... ولعل من بين المناسبات التي ارتبطت بالنخيل حضرة بورخيص وهي حضرة تقام عند إتمام عملية النخيل وتكون فرصة لالتقاء أهالي النخيل، حيث يجتمع الأهالي من رأس الوادي إلى سيدي بوحنية في ضواحي المقارين وتكون هذه المناسبة فرصة لتبادل حبار النخيل وفرصة

للبيع، ويقال أنّ التسمية ارتبط معناها ببيع حبار النخيل حيث يُباع بأسعار رخيصة وسميت بورخيص، كما أنّ من بين المناسبات المشهورة والتلقيحية ارتبطت بالنخلة مناسبة احتفالية مشهودة تسمى أنزور تيزدايت بمعنى زيارة النخلة. (المجلس البلدي لبلدية تبسبت، 2015)

5- قائمة المراجع:

• الكتب:

1. إبراهيم الساسي العوامر. (2007). الصروف في تاريخ الصحراء وسوف. لأبيار- الجزائر: منشورات ثالة.
2. أحمد بن سعيد أبو العباس الدرجيني. (د.ت). طبقات المشايخ بالمغرب (د.ط). (تحقيق: إبراهيم طلاي) الجزائر: مطبعة البحث.
3. أحمد حسين بن براهيم. (د.ت). النزلة بين ولاد أحسن و ولاد أرحاب (د.ط).
4. أحمد حسين بن براهيم. (د.ت). تاريخ النزلة، صفحات تاريخية خالدة، د.ط.
5. عبد الحميد إبراهيم قادري. (2014). وادي ريغ تاريخ وأجداد جزائرية، دراسة تاريخية (ط2). الجزائر: دار الأوطان.
6. عبد الحميد قادري. (2010). ثقلت البهجة، ماضيا وحاضرا (ط1). الجزائر: دار الوعي للنشر والتوزيع.
7. ناصر الدين سعيدوني. (د.ت). ورقات جزائرية و أبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني (المجلد ط1). بيروت- لبنان: دار الغرب الإسلامي.

• المذكرات والرسائل الجامعية:

1. ثوبية برقية. (د.ت). ارتباط معالم أثرية بالعادات و التقاليد في منطقة وادي ريغ. مذكرة ماستر، قسم: الفنون. تخصص: حماية الممتلكات الثقافية.
2. محمد الحاكم بن عون. (2010-2011). مخطوط أخبار وأيام وادي ريغ للشيخ محمد الطاهر بن دوبة. مذكرة مكملّة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ، تخصص: علم المخطوطات التحرير.
3. هبة الله بوغراة. (2015). مقاومة الشريف محمد بن عبد الله في الجنوب الشرقي الجزائري 1851-1871. بسكرة: مذكرة ماستر في التاريخ المعاصر، قسم العلوم الإنسانية، جامعة محمد خيضر.

• المجالات والملتقيات:

1. يوم دراسي تحت عنوان: "المقصد المبان من حضرة رجال الحشان". يوم 2015/10/10. تحت إشراف: المجلس البلدي لبلدية تبسبت.

2. رابح رمضان. (2012). جوانب من الحياة الاجتماعية و الاقتصادية بالصحراء الجزائرية من خلال رحلة الأغواطي. أعمال الملتقى الوطني الثاني حول الحياة الاجتماعية و الاقتصادية في الجنوب الجزائري خلال القرنين 12 - 13 و 18-19 م من خلال المصادر المحلية. الوادي-الجزائر: معهد العلوم الاجتماعية و الإنسانية للمركز الجامعي بالوادي.

3. معاذ عمراني. (د.ت). المساجد والقباب و الأضرحة في منطقة وادي ريغ خلال النصف الأول من القرن العشرين. أعمال ملتقى.

• مواقع الإنترنت:

1- احتفالية اللمة المليحة. (د.ت). تم الاسترداد من جوهرة تشرت، واحة الحب والعطاء والأصالة: www.tougourt.org